المقدمة

لقد كرم الله الإنسان فوهبه العقل والقدرة على الإبداع فقال تعالى ((ولقد كرمنا بني ادم وحملنهم في البر والبحر ورزقنهم من الطيبات وفضلنهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا))وتأكيدا لهذا التفضيل فان الباري عز وجل استخلف الإنسان في الأرض قال تعالى ((وإذ قال ربك للملائكة أني جاعل في الأرض خليفة)) فميزه عن سائر المخلوقات وهذا الإنسان الذي كرمة الخالق جلت قدرته له حقوق نابعة من طبيعة البشر ملازمة له بوصفه أنسانا وهي غير قابلة للتصرف ولصيقة به نصت عليها الشرائع السماوية والتشريعات الوضعية .

ولكي يتمكن الإنسان من التمسك بحقوقه ويدافع عنها ويسعى بالطرائق القانونية لحمايتها لابد له من معرفة تامة بها (مضامينها – حدودها _ سبل حمايتها وضماناتها) ولهذه المعرفة بحقوق الإنسان أهمية كبيرة في بناء النظام السياسي الديمقراطي فقد عاشت النظم الدكتاتورية على حجب الإنسان عن معرفة حقوقه وتغييبها لا بل مصادرته . وكانت الكثير من الحكومات في بلدان العالم الثالث ترى أنها أذا صادقت على تعليم حقوق الإنسان في بلدانها فكأنما بذرت بذرة فنائها بيدها وسلمت شعوبها الحبل الذي سوف تشنقها به .

وهناك ربط بين تغيب حقوق الإنسان وعدم أعلامة بها من جهة وبين ديمومة الأنظمة الديكتاتورية من جهة أخرى. وإما من يقوم بنشر ثقافة حقوق الإنسان وإعلام المواطن بها فان الكثير من الدول ترى ان هذا من اختصاص جهاز التعليم الرسمي وحدة ويتم هذا التثقيف بإدراج مواضيع حقوق الإنسان في المقررات الدراسية وإدراج مواضيع حقوق الإنسان أيضا في برامج الدورات والمؤتمرات الجامعية . هذا من جانب ومن الجانب الأخر فان الطالب والباحث يحتاج إلى إلمام بثقافة الديمقراطية ومعرفتها العلمية . لما في من أهمية كبيرة في فهم تطورها عبر العصور ومفهومها وإشكالها وسبل ممارستها كما ان دراسة الديمقراطية دراسة عملية سيسهم في إرساء دولة القانون التي تعتمد الديمقراطية أساسا لبنائها ولأهمية معرفة الإنسان بحقوقه وما لبعض الفئات من بني البشر من احتياجات خاصة رعاية لهم من خلال منحهم حقوقا تتناسب مع احتياجاتهم وظروفهم الخاصة .

حقوق الإنسان في الحضارات القديمة:-

يجب التفريق ابتداء بين حقوق الإنسان وهي لصيقة بطبيعته الإنسانية وملازمة لها وجدت مع الإنسان منذ أن خلقه الله إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .. وبين ممارسة هذه الحقوق وهو أمر يختلف من عصر إلى أخر بحسب التشريعات التي تحكم وتنظم ممارسة هذه الحقوق .وما ستناوله في هذا الفصل هو الامر الثاني أي تنظيم ممارسة هذه الحقوق، والحدود التي يسمح بها المشرع في كل عصر من العصور بممارسة الانسان لحقوقه.

مر الاهتمام بحقوق الإنسان بمراحل تطور مختلفة آذ أن بداية هذا الاهتمام إنما يعود إلى الحضارات القديمة التي أولت الإنسان وحقوقه عناية كبيرة ولكن بدرجات متفاوتة بين حضارة وأخرى ومن اهمها:-

حقوق الإنسان في الحضارات اليونانية والمصرية: في الواقع لا يمكن نكران ما قدمه مفكرو الحضارات اليونانية والمصرية في ميدان حقوق الانسان من اسهامات كبيرة وبغية الاطلاع على دور هاتين الحضارتين في هذا المجال. فإننا سوف نتطرق الى دراسة وبحث حقوق الانسان في الحضارات القديمة ومنها الحضارات اليونانية والمصرية واهم الاصلاحات التي تناولتها حقوق الانسان في حضارات العراق القديم.

حقوق الإنسان في الحضارة اليونانية: حاول المفكرون اليونانيون ايلاء الإنسان وحقوقه قدرا من الاهتمام في كتاباتهم إذ يعد الإنسان احد أعظم المعجزات في الدنيا على حد قول المفكر اليوناني (سوفوكليس) قبل حوالي (٢٥٠٠)سنة قبل الميلاد ألا ان ما يؤخذ على الحضارة اليونانية أنها أقرت الاسترقاق ونصت على المساواة الناقصة بالاستناد لطبيعة التكوين الاجتماعي والسياسي للمجتمع ، وبالتالي فان المشاركة السياسية كانت قاصرة على الطبيعة المتنفذة ذات القاعدة الاقتصادية والاجتماعية فيه يضاف الى ذلك ان التقسيم الطبقي للمجتمع اليوناني كان ينفي فكرة المساواة المطلقة بين الإفراد ذلك أن مفهوم المواطنة هو امتياز يمنح صاحبة حق المشاركة في النشاط السياسي وفي الشؤون العامة .

أما طبقة الأرقاء فأنهم على حد قول أرسطو من صنع الطبيعة التي جعلت العبيد من الأدوات التي لابد منها لتحقيق سعادة الأسرة اليونانية ، كما أن المرأة لم تكن أوفر حظا من العبيد في نيل حقوقها.. وكانت تجرد من كافة حقوقها المدنية ويحظر عليها مزاولة أي عمل من الإعمال.وقد اكد الفكر اليوناني القديم على ضرورة احترام القانون وتحقيق العدالة ووجوب اتساق السلوك الإنساني مع قانون الطبيعة باعتباره قانونا خالدا وعالميا.

اما بخصوص حق الملكية فقد عرف اليونانيون القدماء ملكية الأرض ثم تحولت مع مرور الزمن الى ملكية القبائل.ونتيجة لما تقدم ..يتضح لنا عدم وجود مساواة مطلقة عند اليونانيين وذلك لانعدام التوازن الاجتماعي الذي كان السمة الغالبة في المجتمع اليوناني حتى ظهرت الفلسفة الرواقية (تعد الرواقية مذهبا فلسفيا يرى ان السعادة في الفضيلة وان الحكيم لا يبالي بما تنفعل به نفسه من لذة وألم حتى ان عدم مبالاته بالألم قد يبلغ درجة النفي والانكار. وكل من كان رواقيا كان مطمئن النفس رابط الجأش صابرا لا يفرح لشيء ولا يحزن على فقد شيء ولا يبالي بما يصيبه من بؤس وشقاء وهو يعتقد ان الإنسان جزء من الكون وما يقع في الطبيعة أنما يقع بتأثير العقل الكلي او القدر ولذلك يجب ان يكون سلوك الإنسان مطابقا لما تملية الطبيعة علية منصرفا عن العواطف والأفكار التي تجعله يحيد عن جادة القانون الطبيعي) التي نادت بالأخوة الانسانية والمواطنة والمساواة بين البشر و بتحرر الافراد من القوانين الوضعية.

اما في ظل الحضارة الرومانية فقد كان التقسيم الطبقي والتفاوت في الحقوق والواجبات هو السمة البارزة على المجتمع الروماني اذ قسم ذلك المجتمع إلى طبقتين هما طبقة الإشراف وطبقة العامة، في المساواة أمام القانون كانت

معدومة بين الطبقتين ولم يعترف للطبقة العامة بحقوق المواطنة ومنعوا من المشاركة في المجالس الشعبية كما لم يعترف لهم بالمساواة أمام القضاء بل كانت تنطبق عليهم قواعد قانونية خاصة.

وعلى غرار الفكر اليوناني فقد كانت المرأة منتهكة الحقوق عند الرومان فلا يحق لها الانتخاب او الترشيح او تولي الوظائف العامة وتم تجريدها من حقوقها السياسية والمدنية في مختلف مراحل حياتها فمنذ ولادتها كانت تخضع لسلطة رب الأسرة المطلقة في كافة حقوقها كحق الحياة والموت والطرد من الأسرة بيعا كالرقيق كما عرف الرومان نظام الرق حيث المعاملة القاسية والإحاطة بالكرامة للرقيق اذ كانوا يعملون في الإقطاعيات نهارا ويتم تقييدهم بالسلاسل وتفرض بحقهم اشد العقوبات ليلا .

حقوق الإنسان في الحضارة المصرية القديمة

لقد أسهمت الحضارة المصرية القديمة في مجال حقوق الإنسان وحرياته بشكل واضح اختلف عما وعلية الحال في الحضارتين اليونانية والرومانية اللتان اتسمتا بالتقسيم الطبقي وانعدام المساواة حيث ان هدف القانون الذي طبقة اله الشمس حاكم مصر هو تحقيق العدل وإحقاق الحق والصدق على أساس انه قانون منزل من السماء وبالتالي فقد خضع له الحكام فترة طويلة وبه تحققت سعادة الشعب .

واوجب هذا القانون هو عدم التفرقة بين رجل مهم وأخر من أصل متواضع وعدم إيقاع عقوبة غير عادلة ومساعدة الضعيف وعدم جواز القتل .وفي فترة حكمة دعا اخناتون إلى التوحيد والسلام والتسامح والرحمة وتحقيق العلم للجميع كما قدم المعلمون المصريون في أطار التربية والتعليم كثيرا من المثل المرتبطة بحقوق الإنسان تمت كتابتها على قطع من الحجر والخزف. ولا يفوتنا القول بأن فراعنة مصر كانوا يدعون الألوهية لأنفسهم والملك عندما يؤله نفسه إنما يجعلها فوق الجميع وبمنأى عن اي خطأ ففرعون مثلا كان يعد نفسة الها مطلقا في الحكم ومصدرا للعدالة والتشريعات التي كانت تصدر عن أرادته ومشيئة وبالشكل الذي يرغب يضاف الى ذلك ان الحاكم يستضعف الناس ويستخف بهم حتي وصل به الحال الى حرمان بعضهم من حق الحياة .

حقوق الإنسان في حضارات العراق القديمة: تعد حضارات وادي الرافدين من أقدم الحضارات البشرية وأكثرها اهتماما بحقوق الإنسان فقد ظهرت عدة مجالات تدل على الاهتمام بحقوق الإنسان ففي بلاد سومر ظهرت ولأول مرة حدود الملكية الشخصية و توضحت العلاقات الاقتصادية بين الفرد والدولة وبين الإفراد أنفسهم كما تم تنظيم العلاقات الاجتماعية بأبعادها المختلفة .وتمثل إصلاحات العاهل السومري اورو كاجينا (٢٣٥٠-٢٣١٣) قبل الميلاد حاكم مدينة لكش أقدم إصلاحات اجتماعية واقتصادية عرفها التاريخ وقد عثر على اربع نسخ من هذه الإصلاحات مدونة على رقم من الطين باللغة السومرية وبالخط المسماري.

ومن أهم ما جاء بهذه الإصلاحات :

منع الأغنياء والكهنة والمرابين من استغلال الفقراء ورفع المظالم التي كانت تقع على الفقراء وقد ذكر هذا الاصلاح في وثيقته وفحواه (ان بيت الفقير قد صار بجوار بيت الغني) خاصة بعد ان منح الملك الحرية التامة لسكان سلالته. علما ان كلمة الحرية ظهرت ولأول مرة في التاريخ البشري في الوثيقة العراقية القديمة.

اما مجموعة قوانين اورنمو التي اعقبت اصلاحات اوروكاجينا زمنيا فقد كتبت باللغة السومرية ايضا وتتألف من (٣١) مادة قانونية وضعت علاجا لعدد من المسائل الاجتماعية والاقتصادية واكتفى اورنمو في قانونه بفرض الغرامة على المدان بأي جريمة كانت بدلا من العقوبة البدنية.

وفي مطلع الالف الثاني قبل الميلاد وصل ثالث مجموعة من القوانين المدونة باللغة السومرية والمنسوبة للملك لبت عشتار وقد دونت على اربع من الطين بالخط المسماري ومقدمة هذا القانون تشبه الى حد كبير مقدمة شريعة حمورابي وتضم تلك الشريعة (٣٧) مادة قانونية تعالج عددا من القضايا الاقتصادية والاجتماعية وشؤون الأسرة والرقيق .

وتعد شريعة اشنونا التي وضعها الملك بلا لاما من اقدم القوانين المدونة باللغة الاكدية وتتألف من ديباجة (٦١) مادة قانونية عالجت جوانب من الحياة الاقتصادية والاجتماعية .

اما شريعة حمورابي أول شريعة قانونية إنسانية مدونة باللغة البابلية وبالخط المسماري على مسلة من حجر الدايورايت الأسود وتتألف من (٢٨٢) مادة قانونية والتي تعد مصدرا تاريخيا للعديد من القوانين الوضعية القديمة.

ويبدأ حمورابي شريعته تلك بمقدمة طويلة يبين فيها الأسباب التي دعته لوضع تلك الشريعة ثم يمجد الالهة التي طلبت منه وضع هذه الشريعة لنشر العدل في البلاد.

عالجت شريعة حمورابي مختلف شؤون الحياة الاجتماعية والاقتصادية والعسكرية والمهنية، وتضمنت مواد الشريعة المختلفة احكاما تتعلق بالقضاء والشهود والسرقة والنهب وشؤون الجيش والزراعة والقروض ومسائل الأحوال الشخصية من الزواج والطلاق والإرث والتبني والتربية وكل ما له صلة بالأسرة بالإضافة الى مواد تخص العقوبات والغرامات .

يتضح مما سبق ان حضارة وادي الرافدين تعد من اقدم الحضارات الإنسانية التي أولت اهتماما منقطع النظير بحقوق الانسان وحرياته وصلاحياته العائلية وحرصت دائما على انصاف المظلوم وحماية حقوق الضعيف ومنع استغلال الفقراء واشاعة العدل بين الناس.

حقوق الإنسان في الشرائع والأديان السماوية

أن الإنسان محور جميع الأديان والشرائع السماوية بل انه غايتها فهي جاءت لتامين مصالح الناس بجلب النفع لهم دفع المضار عنهم وبما يحقق السعادة لهم في الدنيا والآخرة وفي هذا المعني يقول احد الباحثين لعل أروع ما في الأديان هو أنها تعظم من شان الإنسان ولا تتركه في هذا الوجود نهبا للتشتت والضياع وفقدان الأمل كما أن جميع

الأديان السماوية تبدأ دعوتها إلى توحيد الله تعالى وتحرير العقول والقلوب من الشرك والأوهام والزيغ والضلال . لتحقيق إنسانية الإنسان ليتبوأ مكانته الرفيعة ويصبح أهلا للخلافة في الأرض .

حقوق الإنسان في الديانتين المسيحية واليهودية :- تعد الديانة المسيحية من الشرائع والرسالات السماوية التي تدعو إلى التوحيد فيما يخص العقيدة كما اهتمت بحقوق الإنسان وحرياته الأساسية وقد اضافت الى الحضارة الاوربية وقانون حقوق الانسان بعض المبادئ السامية المتعلقة بكرامة الشخصية الانسانية وفكرت تحديد السلطة

١- إذ أكدت المسيحية على كرامة الإنسان الذي يستحق في نظرها الاحترام والتقدير وان السلطة المطلقة لا يمارسها ألا الله

٢- وضعت حدا فاصلا بين ما يعد من الأمور الدينية وبين ما يعد من الأمور الدنيوية الغاية من ذلك تنظيم المجتمع الإنساني على أساس واضح وسليم .

٣- لقد ساهمة الديانة المسيحية في مجال حقوق الإنسان وحرياته فهي تدعو إلى المحبة والتسامح والسلام بين بني البشر وحماية الضعفاء والمحافظة على حقوق العمال كما أنها عارضت عقوبة الإعدام.

٤- أن الدين المسيحي والحضارة المسيحية قد اقر الالتزام المدني والديني بغية الحصول على الحقوق وتأدية الواجبات .

٥- أن ما يؤخذ على المسيحية هو أن معالجتها لحقوق الإنسان لم تكن معالجة دينية شرعية خالصة بل كان للكنيسة وما تطرحه من أفكار دور كبير في معالجة هذه الحقوق .

٦- وعلى الرغم من اعتبار المسيحية فكرة للإخاء العام في نظر الفقه الفرنسي هدفها تحقيق المساواة واحترام الشخصية الإنسانية الاان المسيحية وتحديدا في القرون الوسطى كانت بعيدة كل البعد عن الاعتراف بالحرية والمساواة حيث أن الفقراء كانوا يعيشون تحت الاضطهاد واستغلال من قبل الأغنياء وقد وصفوا بالعبيد على أساس التقسيم الطبقي الذي عاشه المجتمع المسيحي آنذاك وهذا ما يتناقض كليا مع مكانة الفقراء التي منحهم إياها المسيح .

٧- أن المسيحية أذا كانت قد دعت إلى حرية العقيدة فإنها أهملت غيرها من الحريات اذ كانت حرية الديانة هي الشئ الوحيد الذي يعلو في نظرها ولذلك ما أن تمكن رجال الدين من السلطة حتى الحقوا بالإفراد ألوانا من الطغيان والاضطهاد وسرعان ما قضي على الفكرة التي بدأت تنبت عن القانون والعودة إلى العصور البدائية وازداد الرباط الذي يشد الفرد إلى الجماعة ضيقا وقوة .

- أما بخصوص الديانة اليهودية فقد بنيت على التوراة وما أضيف أليها مما رواه أحبار اليهود ولم تغفل هذه الشريعة عن مسالة حقوق الإنسان وحرياته ولكن ليس على أساس المساواة والعدالة بين البشر وإنما لفئة معينة من أتباع الشريعة اليهودية .